

المحاضرة السابعة : تحديد موضوع البحث، سيرورة بناء الإشكالية ومصادرها النظرية

تمهيد:

يعد البحث العلمي السيرورة التي من خلالها يسعى الإنسان إلى فهم الظواهر وتفسيرها وضبطها والتنبؤ بها، انطلاقًا من مناهج منظمة وأدوات دقيقة. ويمثل تحديد موضوع البحث وبناء إشكاليته الخطوة الجوهرية الأولى في أي عمل علمي، إذ لا يمكن لأي بحث أن ينطلق دون وضوح في ما يُراد دراسته ولماذا يُدرس وكيفية معالجته. فالموضوع هو نقطة الانطلاق، والمشكلة هي السؤال الذي يوجه التفكير، أما الإشكالية فهي البنية النظرية التي تفسر وتربط المعاني والمفاهيم داخل البحث.

أولاً: المشكلة والإشكالية:

1- مفهوم المشكلة العلمية:

تمثل المشكلة العلمية سؤالاً أو موقفًا غامضًا يثير في ذهن الباحث الحيرة والرغبة في الفهم. إنها تمثل نقطة التحول من الاهتمام العام بالموضوع إلى تساؤل دقيق يسعى البحث للإجابة عنه.

فعلى سبيل المثال، إذا كان موضوع البحث هو "التحفيز الدراسي"، فإن المشكلة قد تكون:

ما أسباب ضعف الدافعية نحو التعلم لدى طلبة الجامعة رغم توفر الظروف المادية المناسبة؟

هنا يمكن القول أن الباحث انتقل من موضوع عام إلى مشكلة محددة يمكن دراستها علميًا.

2- مفهوم الإشكالية:

أما الإشكالية فهي الإطار النظري والمفاهيمي العام الذي يربط بين مختلف التساؤلات والفرضيات المرتبطة بالمشكلة.

إنها تصور تركيبى يقدمه الباحث ليفسر من خلاله الظاهرة، انطلاقاً من مراجعة الأدبيات والنظريات السابقة. بمعنى آخر الإشكالية لا تُطرح اعتباطاً، بل تُبنى بناءً تراكمياً قائماً على:

- التحليل النقدي للدراسات السابقة.
- توظيف النظريات المفسرة للظاهرة.
- تحديد العلاقات المحتملة بين المتغيرات.

وبذلك تجيب الإشكالية عن السؤال المركزي: كيف يمكن فهم هذه الظاهرة في ضوء المعطيات النظرية والميدانية المتوفرة؟

ثانياً: معايير وضوابط صياغة الإشكالية: لكي تكون الإشكالية علمية ومنهجية يجب أن:

1. تراعي ترتيب منهجي من العام إلى الخاص.
2. تُصاغ بوضوح ودقة، لا بد أن تنتهي بطرح سؤال مركزي قد يتفرع إلى أسئلة فرعية.
3. تحترم الترتيب المنهجي مع ذكر المتغيرات الأساسية في الدراسة
4. تُحدّد المفاهيم الأساسية إجرائياً لتفادي الغموض وسوء الفهم.
5. تستند إلى مرجعية نظرية واضحة تدعم بناء الفرضيات والتحليل.

ثالثاً: الإشكالية ومصادرها النظرية:

الإشكالية العلمية ليست مجرد سؤال، بل منظور نظري يوجه البحث ويحدد علاقاته الداخلية. وتستمد الإشكالية قوتها من:

1. النظريات المفسرة للظاهرة (نفسية، اجتماعية، تربوية...).
2. النماذج المفاهيمية التي تحدد المتغيرات والعلاقات بينها.
3. المقاربات المنهجية (كمية، كيفية، أو مختلطة).
4. التحليل النقدي للأدبيات الذي يكشف حدود المعرفة السابقة.

مراحل بناء الإشكالية: تكون الإشكالية من العام إلى الخاص ولها مراحل أساسية يمكن تلخيصها في ما يلي:

- مدخل عام (تمهيد عام)
- الإشارة إلى المتغير الأول (المستقل)
- الإشارة إلى المتغير التابع (التابع) ثم ذكر متغيرات أخرى إن وجدت
- صياغة الفجوة العلمية (المعرفية) إبراز الخلل الموجود بين متغيرات الدراسة
- صياغة سؤال أو أسئلة الإشكالية (المشكلة)

رابعاً: من المشكلة إلى الإشكالية - الفرق الجوهرى -

العنصر	مشكلة البحث	إشكالية البحث
الطبيعة	سؤال محدد يحتاج إلى إجابة	بناء نظري يوجه البحث
النطاق	ضيق ومباشر	أوسع وأكثر تركيباً
الوظيفة	يحدد ما يُراد دراسته	يحدد كيف ولماذا تتم الدراسة

خامساً: الدراسات السابقة أو القراءات الاستطلاعية باعتبارها مصدر نظري للإشكالية:

تعد الدراسات السابقة من العناصر الأساسية في أي بحث علمي، حيث تمثل قاعدة معرفية ترتكز عليها خطوات البحث القادمة، وتُعد مرجعية لتوجيه الأسئلة البحثية وصياغة الفرضيات. كما أن تحليل الدراسات السابقة يسهم في تسليط الضوء على الجوانب التي تم تناولها بالفعل، وتحديد الفجوات المعرفية التي يمكن أن يسهم البحث الجديد في سدها. وفي هذا العنصر سوف نناقش دور الدراسات السابقة في عملية البحث العلمي، وتسلط الضوء على أهمية منهجية البحث والتقنيات المختلفة التي يتم استخدامها. سنتعرف على كيفية التفاعل مع الدراسات السابقة، وكيفية البناء عليها لتوجيه خطوات البحث وتحقيق النتائج المرجوة.

1- مفهوم الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة هي مجموعة من البحوث والمقالات العلمية التي أُجريت في مجالات مشابهة أو متعلقة بموضوع البحث الذي ينوي الباحث إجراءه. تلعب هذه الدراسات دوراً مهماً في بناء المعرفة العلمية وتوسيع الفهم حول قضية معينة. ومن خلال مراجعة الدراسات السابقة، يمكن للباحث أن:

- يحدد الفجوات البحثية: أي الموضوعات التي لم تُدرس بشكل كافٍ.
- يتعرف على الأساليب والتقنيات المستخدمة: مما يتيح له الاستفادة منها أو تطويرها.
- يتجنب الأخطاء السابقة: من خلال التعرف على التحديات التي واجهها الباحثون الآخرون.
- يوجه فرضياته وأهداف دراسته: بناءً على ما تم اكتشافه في الدراسات السابقة.

2- أهمية الدراسات السابقة في البحث العلمي: الدراسات السابقة و القراءات الأولية الاستطلاعية يمكن

أن تساعد الباحث في النواحي التالية:

- توسيع قاعدة معرفته عن الموضوع الذي يبحث فيه وتقدم خلفية عامة دقيقة عنه وعن كيفية تناوله (وضع إطار عام لموضوع البحث).
- التأكد من أهمية موضوعه بين الموضوعات الأخرى وتميزه عنها.
- بلورة مشكلة البحث ووضعها في إطارها الصحيح وتحديد أبعادها لمشكلة أكثر وضوحاً، فالقراءة الاستطلاعية تقود الباحث إلى اختيار سليم للمشكلة والتأكد من عدم تناولها من الباحثين آخرين.
- إتمام مشكلة البحث حيث يوفر الإطلاع على الدراسات السابقة الفرصة للرجوع إلى الأطر (الإطار) المتقاربة مع موضوع الدراسة.
- تجنب الثغرات الأخطاء والصعوبات التي وقع فيها الباحثون الآخرون وتعريفه بالوسائل التي اتبعتها في معالجتها.
- تزويد الباحث بكثير من المراجع والمصادر الهامة التي لم يستطع الوصول إليها بنفسه.
- استكمال الجوانب التي وقفت عندها الدراسات السابقة الأمر الذي يؤدي إلى تكامل الدراسات والأبحاث العلمية.

- تحديد وبلورة عنوان الدراسة بعد التأكد من شمولية العنوان لكافة الجوانب الموضوعية والجغرافية والزمنية للبحث.

3- تحليل وتوظيف الدراسات السابقة:

يمكن القول أنه الاستفادة من الدراسات السابقة أساسية في إنجاز المذكرة، ولهذا ضرورة توظيفها في البحث أو الدراسة يدل على الفهم والإطلاع الجيد والإحاطة بأدبيات الموضوع، لكن طريقة توظيفها تختلف باختلاف أسلوب الباحث.

- **جعلها عنصر مقارنة:** عندما تقوم بمراجعة الدراسات السابقة، من المهم أن تحدد النقاط التي تتفق فيها الدراسات أو أوجه التشابه، وأيضا أوجه الاختلاف، مع ذكر أسلوب البحث وعينة الدراسة ونتائجها باختصار، وغالبا ما تكون هذا التوظيف في شكل عنصر يحمل اسم الدراسات السابقة. (ويمكن التعقيب عليها أيضا)
- **توظيفها كتفسير أو إسهاد:** وهنا يمكن القول أن الدراسات السابقة ستوظف ضمن محتوى أو مضمون الشق النظري باعتبار ذلك يمثل مجموع الأدبيات التي يتوجب على الطالب أن يعرفها وهنا نركز أساسا على بناء الاشكالية وصياغتها النظرية المبنية على الأدبيات السابقة، وأيضا في شق التحليل والتفسير بعد الإجراءات الميدانية حتى يمكن توضيح جوانب التشابه وجوانب الاختلاف مع تفسير بعض النتائج من خلال الاعتماد على ماسبق.
- **التعرف على الفجوات البحثية:** في حين تمكنا تحليل الدراسات السابقة من تحديد الجوانب التي لم يتم تناولها بشكل كافٍ.
- **التوجهات المستقبلية:** كما يمكن تحليل الدراسات السابقة من تجلي توجهات جديدة أو مجالات تحتاج

إلى المزيد من البحث.

خلاصة: وهنا تظهر الإشكالية كمرحلة أكثر نضجاً من المشكلة، لأنها تربط بين النظرية والواقع، وتُشكل العمود الفقري للبحث العلمي. في حين تعتبر المشكلة جزءاً أساسياً في الإشكالية لا يكمن الاستغناء عنها، كما أن الدراسة قائمة على الإجابة عن تلك الأسئلة فيما بعد، وبالتالي فبناء الإشكالية يستدعي بعض الوقت من أجل الإخراج الجيد لها. كما لا يمكن الاستغناء عن الدراسات السابقة أو الإطار النظري بشكل عام لأنه يعتبر أرضية الأساس التي ننطلق منها في بناء الدراسة ككل. كما أن الدراسات السابقة والشق النظري يمنح الإشكالية سلاسة لغوية وبناء منهجي منتظم.

نشاط موجه للطلبة:

- اختر موضوعاً وقم بصياغة إشكالية له، وحاول أن تستخرج دراستين سابقتين لهذا الموضوع.